

مؤشري المكان والزمن من خلال قراءة سوسيولوجية

لثنائية الحياة والموت في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي

أ. بلبول نصيرة

المقدمة

تعد الكتابة الروائية الناجحة أحد أهم الإغراءات التي تجذب مبدعيها إليها فلا يكاد الانتهاء منها حتى يحس بجمالية ما أبدع، ولعل مكنم المواصل في مسيرة العمل السردي ليصبح له جزء أو أجزاء هو بناء آفاق غيبية في عالم النص المستمدة في أغلبها من حقائق ومعطيات منتمية لعالم الموجودات، رغم التوظيفات المختلفة لها، فنجد تلاونا في شخوصه وأمكنته وأزمته، وعليه فإن مسار النص إذا ما حصر على تعاقب الصفحات وتواليها وفقا لخطية مستقيمة يحول العمل إلى نغمة رتيبة يعزفها التكرار، أما إذا قام على هوية جديدة من دون أن يستقل كل الاستقلالية عما سبق، فبذلك فسيكون للقلم إحياءه في أن تواصل الشخصية مسيرتها وفقا لمبررات مقنعة وجادة ولا يخلو أي عمل أدبي من ارتباطه بالمقاربة الواقعية للحياة الاجتماعية في زمن معين قد يكون حاضرا، وقد يكون ماضيا، لكن الأكيد أنه يعكس صورة حياتية ما وهذا ما لمسناه في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي إذ تمكنت من إضاءة دروب جديدة في العمل وهو ما منحه تميزا عن الجزئين السابقين، ذاكرة الجسد وفوضى الحواس .

إن أهم ما اثارته الكتابة في هذه الرواية هو ثنائية الحياة والموت، فأعطت لنا مفاهيم جديدة ووظفت في ذلك الرمز فكان ماديا أحيانا ومعنويا أحيانا آخر للإشارة إلى حقيقة اجتماعية، كما أن الكتابة برعت في توظيف المصادر التجريبية فاستعملت الرموز الحسية. كما أن المصادر الغيبية أيضا موجودة وهي تلك الرموز غير الظاهرة وغير المدركة حسيا والمصادر الصورية البارزة في هذا العمل الروائي متمثلة في صور الأماكن والشخصيات إذ هي رموز لمعان وأفعال معينة سواء وقعت أم لم تقع⁽¹⁾.

رواية عابر سرير عمل مكثف من حيث البناء والطرح، وهو ما يشكل صعوبة لدى القارئ في أن يلج دروبها، خصوصا أن الكتابة ركزت على الصورة الرمزية يرى ارزرباوند "...بأنها تمثيل مرسوم وهي التي تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن..."⁽²⁾، كما ركزت على الرمز باختلاف دلالاته قصد إضافة كثافات إيحائية في نصها. وهو ما أحالنا إلى ضرورة اختيار ثنائية الحياة والموت وإن كانت لا تمثل سوى جزء من الرواية، والسبب أن الكتابة لم تظهرها بشكل قدر. وإنما بصورة موضوعية فرضتها الحقيقة. لكنها استطاعت في المقابل أن تضفي على المفهومين دلالات ليس كما ألفناه في الرواية التقليدية. من خلال أهم مكونين هما الزمن ودلالة المكان. فكيف ظهرت ثنائية الحياة والموت من خلالهما ؟ وأين يمكن أن نستشف مواطن المقاربة الواقعية ؟

قراءة تحليلية للرواية

لقد تجلي لنا الزمن على أنه "... روح الحياة ومؤشر نبضها وتحولها، إنه إيقاع الكون به نحيا ونموت ونفعل ونتفاعل ... " ⁽³⁾ أما المكان فبدي من خلال دلالاته التي لم تظهر كديكور جامد أو وجه ملون وإنما

1- عبدالله محمد عبدالرحمن، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر 2005، ص 168 .

2- ياسين الأيوبي، مذاهب الادب معالم وانعكاسات، ج2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1982، ص 188

3- عبد الكريم الجيوري، الإبداع، تقديم الواحد محمد، دار الطليعة الجديدة سوريا، دمشق ط1، 2001، ص 45 .

مؤشري المكان والزمن من خلال قراءة سوسيولوجية لثنائية الحياة والموت من زاوية عابر سرير لأحلام مستغانمي

اعتمدت " على وقع الأشياء والإحساس بها وما تثيره من إحساس لدى المتلقي، وذلك من خلال الإيحاء والرمز حيث يتم في ضوئها بناء المكان من خلال تحديد خصائصه ومميزاته وإيجاد الحلول الجمالية في ضوء ذلك ..."⁽¹⁾ ، وهو ما أبرز ثنائية الحياة والموت ظهرت الحياة في بعدها السياسي تقول الكاتبة " ... مشكلتنا في الجزائر أن الناس لا وقت لديهم للحياة، سنوات وهم مستغرقون في الاستشهاد "⁽²⁾ هنا تظهر دلالة المكان الرمزية من خلال الحياة ذاتها ، ويظهر الزمن متمثلاً في زمنين :

- زمن الماضي : ويظهر في استذكار خالد .

- زمن الحاضر : من خلال معاشية خالد للأحداث .

لقد لخصت لنا الكاتبة تاريخ الجزائر في كلمة الاستشهاد " أي أولئك الذين سقطوا أثناء الفترة الاستعمارية الفرنسية الطويلة، وأولئك الذين سقطوا أثناء العشرية السوداء فأصبح معنى الحياة عند الجزائري هو العيش فقط. دون ممارسته لأي من طقوس الحياة سوى محاولة الاحتفاظ بخاصية العيش. فالحياة هي توظيف للمشاعر والأحاسيس لجميع الأفراد أثناء ممارستهم أدوارهم المختلفة ، فالدور يُشير إلى الممارسات السلوكية التي تعكس مستلزمات وشروط خاصة بالفرد ومُصاغة ومفروضة عليه من قبل المجتمع⁽³⁾، مثل الزوج، الأب، الطفل، العاشق، الموظف، الطالب ..إلى غيرها في الجزائر كانت أدوارهم موجودة لكن الشعور الوحيد الغالب هو الخوف والألم ، وعليه فالزمن والمكان وحتى الشخصية عناصر جسدت معنى الحياة الفيزيائي لكنهم فقدوها كمعنى وروح . وهنا نجد أن " الحاضر يريد أن يقدم لنا صورة لحياة المكان فيصبح بذلك زمن الحاضر . حاضر المكان في حاجة ماسة إلى ماضيه البعيد بكل ثقله⁽⁴⁾ نحن خارج خريطة الخوف العربية لا تجبني عندما تهديك الحياة مصادفة على هذا القدر من الجمال⁽⁵⁾ " هنا لدينا أكثر من مكان ، مكان خاص ومكان عام . فالمكان العام يبرز من خلال دلالة المكان الرمزية ببعد يتجاوز جغرافية الجزائر كوطن ليمس الوطن العربي بأكمله ويشير إلى وضعه الأمني المزري الذي لا يزال تحت تأثير الخوف بما عاشه بالأمس ويُعاشه اليوم . ويمكن القول أن هذا المكان له انفتاح واسع. في حين أن المكان الخاص يتجلى في المقهى كمكان للقاء المنتظر وهو ما جعل كل من خالد وحياة يريان أن لهما الحظ بتواجدهما في فرنسا خصوصا وقد توج هذا التواجد بلقاء لم يتوقعاه . لأن لقاء المرأة بالرجل في فرنسا حتى في المكان العام لا يسبب أي حرج لهما لخصوصية المجتمع الفرنسي ، في حين أنه لو كان اللقاء في الجزائر كان سيأخذ منحى آخر لوجود خصوصيات ومميزات تجعل مثل هذه اللقاءات غير مقبولة اجتماعيا .

أما الزمن فهو الآخر يظهر بمظهرين :

المظهر الأول أبرزه زمن ماضي ضمني تجلي في عبارة - الخوف العربي - وهي إشارة إلى زمن الاحتلال -

الاستعمار- وزمن تفاقم الإرهاب في الوطن العربي المظهر الثاني جسده زمن المستقبل القريب وذلك بإعطاء

1- طاهر عبد المسلم ، عبقرية الصورة والمكان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن، ط1، 2002، ص79.

2- أحلام مستغانمي ، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط16، 2001، ص128

3- مصباح عامر، علم الاجتماع الرواد والنظريات ، مطبوعات دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 152.

4- عباس إبراهيم ، تقنيات البنية السردية - في الرواية المغاربية - ، منشورات الاتصال للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006، ص 47.

5- أحلام مستغانمي ، عابر سرير، ص201.

مؤشري المكان والزمن من خلال قراءة سوسولوجية لثنائية الحياة والموت من زاوية عابر سري لأحلام مستغانمي

موعد للقاء وعليه بتوظيف مفردة الحياة في هذا المقطع السردى عكس مدى أهمية اللقاء بالنسبة لكلا الشخصيين.

كما ظهرت الحياة في بعدها الإبداعي والتي أرادت الكاتبة من خلالها ان تعكس حياتين هما :

- حياة الشخصية كما هي في الواقع .
- حياة الشخصية الروائية كما في الجزئين السابقين (ذاكرة الجسد - فوضى الحواس) "..... في قصة مجهولة يحمل أبطال الروايات فيهما أسماءهم الحقيقية في الحياة بينما يحمل أناس مثلي أسماء أبطالهم المفضلين في الروايات " (1) هنا يظهر لنا أكثر من مكان من خلال ما يلي :
- المكان الذي تعيش فيه الشخصيات كحقيقة جغرافية .
- مكان ذو دلالة يتمثل في الرواية ذاتها .
- و نفس الشيء بالنسبة للزمن فهو زمن مزدوج يتجسد في :
- زمن سردي يستغرق أحداث الرواية .
- زمن طبيعي حقيقي لشخصيات الحياة ذات أدوار اجتماعية مختلفة وعليه فالحياة كان من المفروض أن تكون ذات نمطين مختلفين، إلا أنها لعبت لعبتها فقلبت الأدوار بمزج الحياتين ببعضهما، مما جعل الشخصية كشخصية خالد مثلا تقف موقف المستغرب لا تدري أي من الحياتين تأليفا وأيها منها حقيقة، وهنا يكمن الجانب الأدبي الفلسفي للرواية "....تفاجئك ألفة الأمكنة فتستأنف حياة بدأتها في كتاب. كأنك موجود لإستئناف حياة الآخرين" (2)

إن ما قامت به الكاتبة من مزج بين الأمكنة كحقيقة وكتأليف يُظهر الزمن من خلال عملية الاستدكار كوقت مستغرق للحياة وهنا تبدو براعة الكاتبة في عملية المزج بين أجزاء الثلاثية إذ لم تكتف بإعادة التسمية للشخصيات. بل قامت بتمديد خيوط الحدث وفق نمط حياة الشخص وبعثرتها في هذا الجزء بغية خلق حياة جديدة ليست حكرا على الشخصية والمؤلف بل تشرك القارئ في الملحة شظاياها لإعادة بناء ما هو حقيقة وما هو تأليف. ومهما كان الأمر فعلاقة الفرد بالآخرين (المجتمع) دائما موجودة رغم الطروحات الفلسفية المختلفة للكاتبة، فالعلاقة التفاعلية التي نجد فيها شخصيات الرواية لا تكاد تنقطع على كونها شخصية روائية حتى نراها شخصية واقعية والعكس كذلك صحيح فتصفحنا للوحات زيان الفنية أو صور خالد الفوتوغرافية خصوصا تلك التي نال بها جائزة الصورة بفرنسا أعمال جمعت الحياة والموت، السلم والحرب، الرحيل والرجوع، اللقاء والفرق ناهيك عما كانت تكتبه حياة في رواياتها، إذ كانت تأخذ بيد قارئها فتغطس به في نصها لتذيقه جمالية الموت والرحيل والفرق وما إن يستسلم لها حتى تطفو به على السطح وسطورها ليلتقط أنفاسه تلك التي ضاعت بين الحياة والسلم واللقاء، هذه التناقضات تلخص كل ما يعيشه الأفراد داخل المجتمع من علاقات تفاعلية منسجمة ومتناقضة (3).

أبعاد الدلالات الرمزية لمفهوم الموت والحياة

1- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 64

2- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 83

3- قنوص محمد صبحي، دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص 56.

كما وجدنا وجها آخر للحياة يتمثل في بعدها الاجتماعي إذ أرادت الكاتبة من خلالها أن تعكس الواقع الاجتماعي كما كان الموت، فركزت على واقعها من خلال ما تحياه الشخصية " ... تشعر أن الحياة معه أصبحت موتا لك، ولا بد من المواجهة غير الجميلة مع شخص لم يؤذك، لم يخنك، ولكنه يغتالك ببطئ"(1) هذه الجملة تُصور لنا فشل خالد في حياته الزوجية التي يريد ان ينهيها بأي شكل لأنها تأخذ منه أكثر مما يريد من الأيام والسنوات فإسراف الزمن على شخص لا نرغب به هو إهدار للحياة ذاتها، خصوصا أن سبب اختيار خالد لهذه الزوجة هو سبب أناني يقتصر على أدائها لأدوارها الزوجية فقط " ... وكنت تزوجت امرأة لتقوم بالأشغال المنزلية داخلي لتكنس ما خلفت النساء الأخريات من دمار في حياتي ..."(2) بهذا المفهوم يفقد البيت معناه كمكان يجمع خالد مع زوجته، وتنمحي وتتلاشي دلالاته الرمزية وحتى الاجتماعية ولا يصبح سوى حيز جغرافي يستغله، وبذلك يتجمد الزمن النفسي الذي يربط خالد والبيت والزوجة "تريد أن تستقيل من دور الزوج الصالح والسعيد الذي مثلته لسنوات..." (3) إذا فإن قرار انفصال خالد عن زوجته يعد قرارا جريئا بالرغم من أنانيته لأنه يهدف ليعيش حياة تحمل روحا من خلال الزمن ومعني من خلال المكان .

إن توظيف العلاقة الزوجية والدخول في تفاصيل هذه العلاقة والتطرق حتى إلى مآلها ليس من وليد الصدفة وإنما لما لهذه العلاقة من دلالة كمؤشر نستخلص به واحد من أهم خصوصيات الشخصية كما أنها مقياس لمدي تأثيرها وتأثرها بالمتغيرات (4)

أما الموت في هذه الرواية فلم يوظف بمفهومه المصطلح عليه المعروف كنهاية بيولوجية وإنما تنوع في التوظيف كما تنوع في الدلالة من خلال دلالة المكان وفيات الزمن إذ أصبح له مفهوم فلسفي ذو أبعاد ممتدة تمس عمق النص فالكاتبة جعلت منه جدارا ترسم فيه الحياة ما تشاء فتمتزج به ويمتزج بها إلى درجة إيهاما بالذوبان لكن سرعان ما تنمحي ملامح الحياة بفعل ألم الشخصية وحزنها لتبدد ألوانها ويتحول الجدار إلى قناع موحش، وعليه فاللقاء دلالة المكان والزمن من خلال هذه الثنائية لا يتوقف عند الشكل الخارجي للبنية السردية بل يغوص فيها لأنها تعد بمثابة النوتة الموجودة على سلم الزمن وعزفها لا يسمع إلا من خلال المكان وصداه.

انفعالات وتفاعلات الأفراد كعناصر اجتماعية

كما كان للموت بعد عاطفي ففي هذا النص نعيش الشخصية زمنا نفسيا صعبا . استشعر من خلاله قساوة الزمن الحقيقي. فيشتد الصراع بين الزمنين فتستسلم للزمن النفسي لا شيء سوى لأنه بإمكانها التحكم فيه من خلال عملية الاسترجاع والاستباق وحتى من خلال الحلم ولا تكتفي بذلك، فتري في جغرافية جسدها المكان الآمن لها وللآخر وحتى للذاكرة خصوصا بعد الصدام الذي حدث بينها وبين المكان الجغرافي .

و هنا تكمن دلالة المكان في الشخصية وفي ذاكرتها وحتى في رؤيتها للأماكن بأنه مكان وذلك بمماثلتها للأشياء وإعطائها دلالات تعد من دلالات المكان، فالحب مثلا وجه من وجوه الحياة التي تملأ صاحبها آملا وتفاؤلا أما في هذا النص فهو وجه من وجوه الموت بل هو الموت ذاته " ... فالموت كما الحب أكثر عبثية من أن

1- أحلام مستغانمي . المرجع السابق . صفحة 179

2- نفس المرجع . ص 197

3- نفس المرجع . ص 179

4- Poutefnouchet Mostafa . la société algérienne en transition , opu, alger 2004. P 23

مؤشري المكان والزمن مع خلال قراءة سوسيولوجية لثنائية الحياة والموت مع زاوية عابر سري لأحلام مستغانمي

تأخذه مأخذ الجد ... " (1) "... الموت كما الحب فيه كثير من التفاصيل العبثية كلاهما خدعة المصادفات المتقنة " (2)

إن فشل الشخصية في الحب وفي امتلاك مكان يحميه هو ما جعلها توقن أن ما تحسه عبثاً أو خدعة، والالتقاء الذي نلمسه بين الموت والحب يظهر في عدم التزامها بالزمن سواء بالحضور أو في الغياب وعدم تقيدهما بمكان معين مما يجعل ثنائية حضورهما أو غيابهما تلعب لعبتها من خلال خدعة المصادفة، ويمكن أن نقول إن هذه الثنائية تتفق في أنها تحمل نفس الألم سواء بغياب الحب أو بحضور الموت، "...ما الأرحم إذن، ما يتركه لك الموتى حين يرحلون ؟ أم ما يتركه الحب بعد رحيل الأحياء " (3) في هذا المقطع السري يظهر للزمن النفسي سلطته وحركيته في قدرته على الاستمرار بوجود الموت ورحيل الحب وكما نجد أن للموتى حضور حتى بعد موتهم من خلال دلالة المكان وما تحمله من صوت ورائحة ولون، إذ تبقى الدلالة برحيل الشخصية وانتهاء زمانها.

و نفس الشيء بالنسبة للحب. فالحب حتما له مكان - كمكان اللقاء مثلاً لذا فهو يرحل تاركاً ذكرى .. والذكرى هنا لا بد لها من مؤثر لأن "... استرجاع الماضي يتم وفق ما يستدعيه انفعال اللحظة الحاضرة .. " (4) ليستيقظ من خلال الزمن وتوقظ معها كل الأشياء الجامدة بفعل صدى المكان ، "...أليس في هذه المفارقة سخرية من المقابر التي تضم تحت رخامها الأحياء، وتترك الأموات يمشون ويجيئون في شوارع حياتنا ... " (5) نلاحظ هنا براعة الكاتبة في تكسير منطق الأشياء لأن الحضور لا يعني الحضور المادي، كما لا يعني الغياب، الغياب الحقيقي دوماً إذ يمكن أن يكونا بمعناهما غير المادي.

فالمقبرة كمكان توحى بالموت والهدوء وانتهاء الزمان، في حين تملأ الشوارع الحياة والحركة واستغراق الزمن، أما في هذا المقطع السري فالأموات في الشوارع، والأحياء في المقابر وعليه فهذا المقطع غير مفهوم إذا ما فسر على ما يحيله المكان كجغرافيا ، لأن كلا من المقبرة والشارع يمتدان إلى داخل الشخصية. لتضيف لهما دلالات جديدة من خلال الزمن النفسي لتتجاوز بذلك حدود وقوانين الأمكنة الحقيقية وتنتقل إلى دلالة المكان التغيرية لذا فالموتى الحقيقيين على حد تعبير خالد ليسو سوى اللذين نواريههم في مقبرة الذاكرة ... " (6) ... كان في الغرفة رائحة توقظ زمن الموتى، تفسد عليك زمانك ... " (7) هنا تظهر

الدلالة التأثيرية للمكان بسبب الرائحة لأن "... للرائحة دلالات تفصيلية داخلية هي التي تمنحها وظيفة سميائية فهي اقونة شمية " (8) تمكنت من التأثير على الشخصية وذلك باسترجاعها للماضي، وكأنها بذلك توقظ زمن الموتى باسترجاعها لحياة الأب المتوفى، وهو ما جعل الغرفة تزدهم بأكثر من زمن، فهناك زمن حاضر خالد والذي يمثله زمن الحياة وزمن ماضي الأب والذي يمثله زمن الموت "... هاجس الموت يواجهنا

1- المرجع السابق، ص 26.25

2- المرجع السابق ص 35

3- المرجع السابق ص 238.

4- مها حسين القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص 192

5- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 22.

6- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 22. 23.

7- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 22

8- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 177

مؤشري المكان والزمن من خلال قراءة سوسولوجية لثنائية الحياة والموت من زاوية عابر سري لأحلام مستغانمي

أمام كل حب، لأن الزمن هاجس عشقي برغم أن العشاق كما الموتى ، لا يحتاجون إلى ساعة لكونهم بدخولهم إلى الحب يخرجون من الزمن المتعارف عليه ! ..."

إن الرغبة في استمرار الحب، هي ما تجعل الشخصية دائمة الخوف من هاجس الموت في أن يفتك بها لذا نراها لا تهتم بالزمن في صورته الفيزيائية المستقلة وإنما بزمن آخر داخلها تفقد فيه الساعة توقعها كما يفقد فيه المكان قياسه فيتحول الحب إلى مكان ذو دلالة رمزية ينتقل فيه العاشق والميت إلى زمن نفسي واحد يتحدى قانون الزمن الحقيقي بفعل حركية الذاكرة وجمالية الحلم .

إن رغبة الشخصية في اللقاء والاجتماع يجعلها تأمل ألا تلقى الموت ".... ثم أذهب إلى النوم ممنيا نفسي بالمطر عساه يعمدنا على ملة العشق في غفلة من الموت والقتلة ..."(1)

تظهر محبة خالد لحياة هنا، فبعدما يئس من لقاءها هاهو يمضي نفسه بأن يجتمعا في مكان ممطر والمطر له دلالة الرمزية فهو يحيل إلى الحياة وإلى التجدد، لا إلى المكان فحسب بل إلى داخل الشخصية فيجد فيها ذلك الحب وذلك الانبعاث بل يتحول المطر هنا إلى ذلك الراهب الذي يعتمد كلا من حياة وخالد لا على ملة الدين وإنما على ملة العشق في غفلة من الموت .

الدلالة الرمزية لحركية الزمن - الاستشهاد بالعشرية السوداء -

وهنا يأخذ الزمن حركيته بفعل الدلالة الرمزية للمكان والتي أبرزتها أحلام اليقظة. كان لابد من معرفة زمن كتابة هذا النص كي نضعه في إطار زمنه الحقيقي لأن النص يعكس صورة واقعة وهو ما يمنحه تجذرا وعمقا وهو ما عكس لنا الموت في بعده السياسي إذ تحدثت الكاتبة في هذا النص عن العشرية السوداء التي كانت تعيشها الجزائر فوظفت لذلك الموت لتكشف عن تدهور الحياة السياسية والأوضاع الأمنية مقدمة بعض المشاهد التي يتزعمها الموت ويشهد عليها المكان في زمن تشيد أحداثه بذلك .

"... قلما كان القتلة يعودون، لأنهم قلما تركوا خلفهم شيئا يشيء بالحياة، حتى المواشي كانت تجاور جثث أصحابها وتموت ميتة تتساوي فيها أخيرا بالإنسان ..."(2)

يتحول المكان بفعل الشخصية إلى مكان ميت لا يحمل أي دلالة سوى دلالة الانتهاء والتمزق والدم وويتحول الزمن بدوره إلى شاهد على المكان. إذ يسجل مرارة الأحداث التي وقعت فيه "... وهنا تظهر أهمية الغياب وأهمية الدور الذي يلعبه المسكوت عنه فما لا يقال لا يعني أنه غير موجود ..."(3)

وعليه فعبارة - لأنهم قلما تركوا خلفهم شيئا يشيء الحياة فيها دلالة على أن الموت لم يستثن أحدا فساوى بين الإنسان والحيوان وقضى على كل أخضر ويابس .

أما الضمير "هم" فيعود على الإرهاب. وهم وحوش تجردوا من إنسانيتهم ليضحوا الموت نفسه أو على حد تعبير زيان "... لو يكن الموت في صحبتهم ، كانوا هم الموت ..."(4)

1- عبد المالك مرتضى، معالجة تحليل الخطاب السردى تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص 281

2- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 216

3- حسن نجمي، شعرية الفضاء والتخييل والهوية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2000، ص 189.

4- أحلام مستغانمي، المرجع السابق، ص 262 .

مؤشري المكان والزمن من خلال قراءة سوسيولوجية لثنائية الحياة والموت من زاوية عابر سري لأحلام مستغانمي

إن الخوف الذي عانى منه الجزائري إبان تلك الفترة، جعله يخاف حتى من موت حيوان يراه أمامه. لأن ".....جثته مشروع جثتك..."⁽¹⁾.

و من هنا يفقد المكان حميته ودلالته كملجأ وملاذ، مما يضطر الشخصية لتغييره لعلها بذلك تغير الزمن نفسه .

"... صدقني منذ اغتيال بوضياف أصبحت اكره حتى السفر إلى الجزائر. فبموته مات شيء فينا .."⁽²⁾ إن قتل شخصية سياسية كهذه. يؤكد أن الموت في هذه الفترة قد وصل إلى مداه. خصوصا وأن بوضياف كرئيس جمهورية إبان تلك الفترة جاء لإنقاذ الجزائر كمكان وكشعب وإذ بالمكان أول من يخونه إذ تنكر لزمان البطولات السابقة وعليه فان توظيف موت بوضياف - في هذا النص - هو توظيف هادف إذ برهن انه موت مضاعف من خلال :

- موت الشخصية في حد ذاتها .
- موت للدلالة التأثيرية والتعبيرية للمكان.
- موت لوفاء المكان.
- موت نفسي ترك أثره في ذهن الشعب الجزائري. وهو اشد موت يمكن أن يقع فبسببه تتغير وجهات النظر وتبني وجهات جديدة .

وهنا يلعب الزمن دوره فيتفوق على المكان. إذ يكتسح شعور الشخصية فيؤسس ذاكرتها على ما جري فيه من أحداث. لأن المكان بين تلك الفترة ووقتنا الحالي قد تتغير ولم يبق منه غير ذاكرة تتجرع المارة كلما عادت إليه .

"...خصصت الدولة تحت تهديد الصحافيين فندقا في شاطئ سيدي فرج . كمحمية أمنية تأوي ما بقي من سلالتهم المهددة بالانقراض ..."⁽³⁾

من جهة يظهر هذا المقطع السري أن الموت لم يستثن حتى الفئة المثقفة.
و من جهة يؤكد أن دلالة المكان تختلف باختلاف استعماله وتوظيفه .

قائمة المراجع بالعربية

1. عبدالله محمد عبدالرحمن ، النظرية في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر 2005.
2. ياسين الأيوبي ، مذاهب الادب معالم وانعكاسات، ج2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان 1982.
3. عبد الكريم الجيوري ، الإبداع ، تقديم الواحد محمد، دار الطليعة الجديدة سوريا ، دمشق ط1 ، 2001 .
4. طاهر عبد المسلم ، عبقرية الصورة والمكان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الاردن، ط1، 2002.

¹ - نفس المصدر ص 140 .

² - نفس المصدر ص 167 .

³ - نفس المصدر ص 69 .

مؤشري الملك والنهم مع خلال قراءة سوسيولوجية لثنائية الحياة والموت مع زاوية عابر سرير لأحلام مستغانمي

5. أحلام مستغانمي ، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط16، 2001.
6. مصباح عامر، علم الاجتماع الرواد والنظريات ، مطبوعات دار الأمة، الجزائر، 2004.
7. عباس ابراهيم ، تقنيات البنية السردية - في الرواية المغاربية - ، منشورات الاتصال للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006.
8. قنوص محمد صبحي، دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
9. مها حسين القصراري ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004.
10. عبد المالك مرتضى، معالجة تحليل الخطاب السردية تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995.
11. حسن نجمي، شعرية الفضاء والتمثيل والهوية والرواية العربية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2000.

قائمة المراجع بالفرنسية

- Poutefnouchet, Mustafa, la société algérienne en transition , opu, alger 2004.
- Mgherbi, Adelghani, culture et personnalité algérienne, entreprise nationale du livre, alger, 1986.